

الكشاف

" النون " الحوت فأضيف إليه . برم بقومه لطول ما ذكرهم فلم يذكروا وأقاموا على كفرهم فراغمهم وطن أن ذلك يسوغ حيث لم يفعل إلا غضبا ً وأنفة لدينه وبغضا للكفر وأهله وكان عليه أن يصابر وينتظر الإذن من الله في المهاجرة عنهم فابتلي ببطن الحوت . ومعنى مغاضبته لقومه : أنه أغضبهم بمفارقته لخوفهم حلول العقاب عليهم عندها . وقرأ أبو شرف " مغضبا " قرء : " نقدر " و " نقدر " مخففا ومثقلا ويقدر بالياء بالتخفيف . ويقدر على البناء للمفعول مخففا ومثقلا . وفست بالتضييق عليه وبتقدير الله عليه عقوبة . وعن ابن عباس : أنه دخل على معاوية فقال : لقد ضربتني أمواج القرآن البارحة فغرقت فيها فلم أجد لنفسي خلاصا إلا بك قال : وما هي يا معاوية فقرأ هذه الآية وقال : أو يظن نبي الله أن لا يقدر عليه . قال : هذا من القدر لا من القدرة . والمخفف يصح أن يفسر بالقدرة على معنى : أن لن نعمل فيه قدرتنا وأن يكون من باب التمثيل بمعنى : فكانت حاله ممثلة بحال من ظن أن لن نقدر عليه في مراغمته قومه من غير انتظار لأمر الله . ويجوز أن يسبق ذلك إلى وهمه بوسوسة الشيطان ثم يردعه ويرده بالبرهان كما يفعل المؤمن المحقق بنزغات الشيطان وما يوسوس إليه في كل وقت . ومنه قوله تعالى : " وتظنون بالله الطنونا " الأحزاب : 10 ، والخطاب للمؤمنين " فى الظلمت " أي في الظلمة الشديدة المتكاثفة في بطن الحوت كقوله : " ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات " البقرة : 17 ، وقوله : " يخرجونهم من النور إلى الظلمات " البقرة : 257 ، وقيل : ظلمات بطن الحوت والبحر والليل - وقيل : ابتلع حوته حوت أكبر منه فحصل في ظلمتي بطني الحوتين وظلمة البحر . " أن " أي بأنه " لا إله إلا أنت " أو بمعنى " أي " عن النبي A : " ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء إلا استجيب له " وعن الحسن : ما نجاه الله إلا إقراره على نفسه بالظلم .

" فاستجبنا له ونجينه من الغم وكذلك نجي المؤمنين " .

" نجي " " وننجي " " نجي " والنون لا تدغم في الجيم ومن تمحل لصحته فجعله فعل وقال نجي النجاء المؤمنين - فأرسل الياء وأسنده إلى مصدره ونصب المؤمنين بالنجاء - فمتعسف بارد التعسف .

" وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرنى فردا وأنت خير الوارثين فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه إنهم كانوا يسرعون في الخير ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خشعين "

سأل ربه أن يرزقه ولدا يرثه ولا يدعه وحيدا بلا وارث ثم رد أمره إلى الله مستسلما فقال :

" وأنت خير الوارثين " أي إن لم ترزقني من يرثني فلا أبالي فإنك خير وارث . إصلاح زوجه :
أن جعلها صالحة للولادة بعد عقرها . وقيل : تحسين خلقها وكانت سيئة الخلق " إنهم "
الضمير للمذكورين من الأنبياء عليهم السلام يريد أنهم ما استحقوا الإجابة إلى طلباتهم إلا
لمباشرتهم أبواب الخير ومسايرتهم في تحصيلها كما يفعل الراغبون في الأمور الجادون .
وقريء " رغبا ورهبا " بالإسكان وهو كقوله تعالى : " يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه " الزمر
: 9 . " خشعين " قال الحسن : ذللا لأمر الله . وعن مجاهد : الخشوع الخوف الدائم في القلب .
وقيل : متواضعين . وسئل الأعمش فقال : أما إنني سألت إبراهيم فقال : ألا تدري ؟ قلت :
أفدني . قال : بينه وبين الله إذا أرخى ستره وأغلق بابَه فليرى الله منه خيرا لعلك ترى أنه
أن يأكل خشنا ويلبس خشنا ويطأ طء رأسه .
" والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين " .
" أحصنت فرجها " إحصانا كليا من الحلال والحرام جميعا كما قالت : " ولم يمسنني بشر
ولم أك بغيا " مريم : 20 ، فإن قلت : نفخ الروح في الجسد عبارة عن إحيائه . قال الله
تعالى : " فإذا سويته ونفخت فيه من روحي " الحجر : 29 ، أي أحييته . وإذا ثبت ذلك كان
قوله : " فنفخنا فيها من روحنا " ظاهرا الإشكال لأنه يدل على إحياء مريم قلت : معناه
نفخنا الروح في عيسى فيها أي : أحييناه في جوفها . ونحو ذلك أن يقول الزمار : نفخت في
بيت فلان أي : نفخت في المزمار في بيته . ويجوز أن يراد : وفعلنا النفخ في مريم من جهة
روحنا وهو جبريل عليه السلام لأنه نفخ في جيب درعها فوصل النفخ إلى جوفها . فإن قلت :
هلا قيل آيتين كما قال : " وجعلنا الليل والنهار آيتين " الإسراء : 12 ؟ قلت : لأن حالهما
بمجموعهما آية واحدة وهي ولادتها إياه من غير فحل